بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نعمة التكنولوجيا هي لخدمة البشر لا استغلالهم

الخبر:

شهدت أكثر من نصف رحلات شركة دلتا إيرلاينز الأمريكية تأخيرات بعد ظهر يوم الأحد، إثر مشكلة في النظام الآلي تزامناً مع ذروة سفر الأمريكيين بمناسبة عطلة عيد الشكر. وقالت الشركة إن فرقها استخدمت حلولاً يدوية بديلة لتيسير عمليات إقلاع الطائرات أثناء العمل على استعادة تشغيل النظام الآلي المسؤول عن حسابات الوزن والتوازن لضمان عدم تجاوز الحد الأقصى المسموح به للطيران (أسوشييتد برس).

التعليق:

يُعدّ هذا العطل الأحدث في سلسلة من الاضطرابات التي لحقت بحركة الطيران في أمريكا. فقد عانت شركة يونايتد إيرلاينز من عطل واسع النطاق في أنظمتها يوم الاثنين الماضي، ما أدى إلى تأخير الرحلات المغادرة، وذلك بعد أيام فقط من عطل في الاتصالات بمنشأة تابعة لإدارة الطيران الفيدرالية، تسبّب في توقف الرحلات على مستوى البلاد. وأجبر العطل، الذي وقع في 13 تشرين الثاني/نوفمبر الجاري، شركات الطيران على إلغاء نحو 18 ألف رحلة، وزاد من الضغوط المالية على قطاع يعاني أصلاً من ارتفاع تكاليف الوقود.

يأتي اضطراب حركة الطيران متزامناً مع اضطرابات في الخدمات الإلكترونية في أمريكا، ما يثير أسئلة بشأن قدرة البنية الرقمية على الاستمرار في العمل، وكفاية إدارة تحديثها، وشفافية الحكومة والشركات عند وقوع الأعطال، إضافة إلى احتمال وقوع اختراق سيبراني. وقد شملت الاضطرابات شبكة اتصالات إدارة الطيران الفيدرالية، وأنظمة لدى شركات طيران، وخدمات مايكروسوفت، وبعض الخدمات المصرفية التي واجه المستخدمون صعوبات في الوصول إليها، إضافة إلى أنظمة داخلية في وكالة الأمن القومي. وهذه حوادث مختلفة، وليس من المستبعد أن يكون سببها أمنياً.

وكما أن الجانب الحضاري في أمريكا زائف وفاسد لكونه نتاجاً لعقول البشر، فقد أكدت الحوادث الأخيرة أن التطور التكنولوجي والرقمي فيها هو أيضاً وهمي ودون المستوى المتوقع؛ إذ يرى خبراء أن الأنظمة الرقمية أصبحت معقدة ومترابطة إلى حد يسمح بامتداد خلل فيها إلى خدمات أوسع. ونُقل عن ديفيد وودز، الأستاذ الفخري في هندسة الأنظمة المتكاملة بجامعة ولاية أوهايو، أن المؤسسات تضغط لتشغيل هذه الأنظمة بسرعة أكبر وبتكلفة أقل، من دون اهتمام كافٍ باحتمالات تعطلها؛ أي أن الكفاية اليومية لا تكفي إذا كان النظام لا يتحمل الأخطاء أو لا يستعيد عمله بسرعة. كما برزت مشكلات تتعلق بتحديث هذه الأنظمة القديمة، إلى جانب مشكلات برمجية داخلية وضغوط على الخوادم، تحول دون إجراء التحديثات التقنية من دون وقوع كوارث؛ فاستبدال التكنولوجيا القديمة مطلوب، لكن طريقة الانتقال إلى التكنولوجيا الجديدة جزء من المشكلة أيضاً.

ومما فاقم المشكلة التعتيم الإعلامي والكذب الحكومي بشأن حقيقتها، فأصبح الناس لا يعرفون أين تكمن المشكلة حقاً! وقد انتقد إريك أونيل، المسؤول السابق في مكافحة التجسس لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي والخبير في الأمن السيبراني، قلة المعلومات التي قدمتها الجهات المتضررة. وقال إن التحقيق ينبغي أن يفحص ثلاثة احتمالات: أعطال داخلية متزامنة، أو تدخل خارجي، أو خلل في أداة أو تقنية مشتركة بين المؤسسات. أما لينزي موران، الضابطة السابقة في وكالة الاستخبارات المركزية، فانتقدت غياب التفسيرات الواضحة، ورأت أن تكرار إرجاع الحوادث إلى أخطاء بشرية أو سوء إدارة لا يكفي لطمأنة الناس. وربطت المشكلة أيضاً بكفاية الإدارة والتعيينات. ولذلك، لم يُحسم ما إذا كان العطل تقنياً، بما في ذلك ما قد ينجم عن قِدَم المنظومة، أو ناجماً عن اختراق سيبراني، أو نتيجة للأمرين معاً، فضلاً عن التساؤلات بشأن دور الذكاء الاصطناعي واحتمال أن تكون له يد في هذه الأعطال.

إن التفوق التكنولوجي الأمريكي المزعوم قد ظهر عواره في هذه الحوادث، ما يؤكد أن أمريكا لا توظف التطور التكنولوجي الذي وصل إليه العقل البشري بكفاية حقيقية تخدم البشر، بل تستخدم منه فقط ما يخدم مصالح الرأسماليين ويتيح لهم جني الثروات الطائلة في مجتمعات فاسدة وبيئة اقتصادية فاسدة ومجرمة. لذلك، لا غرابة في أن تتبخر كثير من الوظائف التقنية، وأن يحل الذكاء الاصطناعي محل العاملين فيها، بينما تظل وظائف خبراء الأمن السيبراني شاغرة، وتظل السوق قادرة على استيعابهم مهما زاد عددهم.

إن التطور التكنولوجي نعمة أنعم الله بها على البشرية، لكنه يحتاج إلى جهة توظفه لخدمة مصالحها وتحقيق رفاهيتها، لا أن يقتصر استخدامه على جني الأرباح لصالح الشركات الرأسمالية. كما أن التطور التكنولوجي سلاح ذو حدين؛ فكما أنه نعمة في يد من يرعى شؤون الناس، فهو نقمة في يد من يستخدمه ضدهم، باختراق الحسابات والتخريب، كما حصل في أسواق أوروبا. ومردّ ذلك إلى طبيعة المبدأ الرأسمالي البعيد كل البعد عن القيم الإنسانية الرفيعة. لذلك، لا يُتصور أن تنعم البشرية بهذا التطور التكنولوجي إلا في ظل رعاية حكام مسلمين لشؤونها، في دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وفي مجتمع مسلم منضبط ذاتياً بالأحكام الشرعية التي تُنشئ رعايا مسؤولين يتقون الله، ولا يردعهم مجرد الخوف من القانون وخبراء الأمن السيبراني.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

بلال المهاجر – ولاية باكستان